جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن الكريم

المرحلة **الثانية**

السيرة النبوية

الدكتور : أحمد فرج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأن أقل مضار ذلك هو أن لا يشعر أتباعه بأن لهم شخصيتهم وفكرهم المتميز ، فهو حين يتجاهلهم كأنه يقول لهم : إنهم لا يملكون الفكر والفهم والشعور الكافي ، وإنما هم مجرد آلة تنفيذ لا أكثر ولا أقل ، وهو فقط يملك حرية إصدار القرار ، والتفكير فيه دونهم .

وطبيعي أن ينعكس ذلك على الأجيال بعده «صلى الله عليه وآله» ، فكل حاكم يأتي سوف يستبد بالقرار ، وسيقهر الناس على الانصياع لإرادته ، مهما كانت ،وذلك بحجة أن له في رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسوة حسنة ،مع أنه ليس من لوازم الحكم ، الاستبداد بالرأي ،فقد استشار النبي «صلى الله عليه وآله » وهو معصوم أصحابه في بدر وأحد .

٢ / أن استشارته « صلى الله عليه وآله » أصحابه لا قيمة لها على صعيد اتخاذ القرار ؛ لأن الله ورسوله غنيان عنها بدليل قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله ﴾ فالآية تنص على أن اتخاذ القرار النهائي يرجع إلى الله تعالى ورسوله « صلى الله عليه وآله » لأنهما يعرفان صواب الآراء من خطئها ، فلا تزيدهما الاستشارة علماً ، ولا ترفع جهلاً ، وإنما هي أمر تعليمي أخلاقي للأمة ؛ بملاحظة فوائد المشورة لهم ؛ لأنها تهدف إلى الإمعان في استخراج صواب الرأي بمراجعة العقول المختلفة ، فعن علي أمير المؤمنين « عليه السلام » : من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها " .

التعبئة للقتال :

يقولون : إنه لما وصل النبي « صلى الله عليه وآله » إلى منطقة القتال ، اختار أن ينزل إلى جانب جبل أحد ، بحيث يكون ظهرهم إلى الجبل ، ثم عبأ أصحابه ، وصار يسوي صفوفهم ؛ حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجاً ، فيؤخره ، وأمرهم أن لا يقاتلوا أحداً حتى يأمرهم، وكان على يسار المسلمين جبل اسمه جبل عينين ، وكانت فيه ثغرة ؛ فأقام عليها خمسين رجلاً من الرماة ، عليهم عبد الله بن جبير ، وأوصاه : أن يردوا الخيل عنهم ، لا يأتوهم من خلفهم ، وفي رواية قال : إن رأيتمونا تختطفنا الطير ، فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ، وأوطأناهم ؛ فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وحسب نص آخر : احموا ظهورنا ؛ فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، وكان شعاره يوم أحد : أمت . أمت .

بدء القتال :

ثم اصطف الجيشان للحرب ، وراح كل واحد منهما يشجع رجاله على القتال بشكل من الأشكال ، وقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان أبو سفيان يحرض رجاله باسم الأصنام ويغريهم بالنساء الجميلات ، وأما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان يحث المسلمين على الصمود والاستقامة ، مذكراً إياهم بالنصر الإلهي والتأييدات الربانية ، بينما تحرض هند والنسوة اللاتي معها من نساء قريش وبناتها الرجال ويضربن بالدفوف ويقرأن الأشعار المثيرة ، وبدأ القتال وحمل المسلمون على المشركين حملة شديدة هزمتهم شر هزيمة ، وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار ، فتقدم اليه الامام علي (عليه السلام) وقتله ، وهكذا كلما حمل اللواء مشرك انقض عليه الإمام علي (عليه السلام) وقتله وكان عدد أصحاب اللواء الذين قُتلوا بسيف الامام علي (عليه السلام) أحد عشر رجلاً ، فلجأ المشركين إلى الفرار وراح المسلمون يتعقبونهم ويلاحقون فلولهم ، ولما علم "خالد" بهزيمة المشركين وأراد أن يتسلل من خلف الجبل ليهجم على المسلمين من الخلف تصدى له الرماة بنبالهم، وحالوا بينه وبين نيته ، هذه الهزيمة القبيحة التي لحقت بالمشركين دفعت ببعض المسلمين الحديثي العهد بالإسلام إلى التفكير في جمع الغنائم والانصراف عن الحرب، بظن أن المشركين هُزموا هزيمة كاملة ، حتى أن بعض الرماة تركوا مواقعهم في الجبل متجاهلين تذكير قائدهم "عبد الله بن جبير" إياهم بما أوصاهم به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يبق معه إلا قليل ظلوا يحافظون على تلك الثغرة الخطرة في الجبل محافظة على المسلمين ، فتنبه "خالد بن الوليد" إلى قلة الرماة في ذلك المكان ، فكر راجعاً بالخيل (وعددهم مائتا رجل كانوا معه في الكمين) فحملوا على "عبد الله بن جبير" ومن بقي معه من الرماة وقتلوهم بأجمعهم ، ثم هجموا على المسلمين من خلفهم (فأصبحوا بين مطرقة الفرسان وسندان المشاة) وفجأة وجد المسلمون أنفسهم وقد أحاط بهم العدو بسيوفهم، وداخلهم الرعب، فاختل نظامهم، وأكثر المشركون من قتل المسلمين فاستشهد – في هذه الكرة – " حمزة " سيد الشهداء وطائفة من أصحاب النبي الشجعان ، وفر بعضهم خوفاً ، ولم يبق حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سوى نفر قليل جدا يدافعون عنه ويردون عنه عادية الأعداء، وكان أكثرهم دفاعاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورداً لهجمات العدو، وفداءً بنفسه هو "الإمام علي بن أبي طالب" (عليه السلام) الذي كان يذب عن النبي الطاهر ببسالة منقطعة النظير ، حتى أنه تكسر سيفه فأعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيفه المسمى بذي الفقار، وفي هذه اللحظة قال جبرائيل "إن هذه لهي المواساة يا محمد" فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) "إنه مني وأنا منه" فقال جبرائيل: " وأنا منكما" ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جبرائيل بين السماء والأرض وهو يقول : "لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي" .

وفي هذه اللحظة صاح صائح : قُتل محمد ، و يذهب بعض المؤرخين إلى أن "عبد الله بن قمئة" الذي قتل الجندي الإسلامي البطل "مصعب بن عمير" وهو يظن أنه النبي ، هو الذي صاح "واللات والعزى :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد قُتل محمد" ، وسواءً كانت هذه الشائعة من جانب المسلمين ، أو العدو فإنها – ولا ريب – كانت في صالح الإسلام والمسلمين لأنها جعلت العدو يترك ساحة القتال ويتجه إلى مكة بظنه أن النبي قد قُتل وانتهى الأمر، ولولا ذلك لكان جيش قريش الفاتح الغالب لا يترك المسلمين حتى يأتي على آخرهم لما كانوا يحملونه من غيظ على النبي ، بل ولما كانوا يتركون ساحة القتال حتى يقتلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم لم يجيئوا إلى "أحد" إلا لهذه الغاية ، لم يرد ذلك الجيش بعد تلك الانتصارات أن يبقى ولو لحظة واحدة في ساحة القتال، ولذلك غادرها في نفس الليلة إلى مكة، وقبل أن يندلع لسان الصباح ، إلا أن شائعة مقتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوجدت زلزالاً كبيرا في نفوس بعض المسلمين ، ولذلك فر هؤلاء من ساحة المعركة ، وأما من بقي من المسلمين في الساحة فقد عمدوا – بهدف الحفاظ على البقية من التفرق وإزالة الخوف والرعب عنهم – إلى أخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الشعب من "أحد" ليطلع المسلمون على وجوده الشريف ويطمئنوا إلى حياته ، وهكذا كان ، فإنهم لما عرفوا رسول الله عاد الفارون واجتمعوا حول الرسول ولامهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على فرارهم في تلك الساعة الخطيرة ، فقالوا يا رسول الله أتانا الخبر بأنك قُتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين ، وهكذا لحقت بالمسلمين – في معركة أحد – خسائر كبيرة في الأموال والنفوس، وقد قُتل من المشركين في هذه الموقعة اثنان وعشرون ، ومن المسلمين اثنان وسبعون في ميدان القتال وعلى رأسهم حمزة سيد الشهداء ، كما جُرح جماعة كبيرة ، ولكنهم أخذوا من هذه الهزيمة والنكسة درساً كبيراً ضمن انتصاراتهم في المعارك القادمة .

****

غزوة بني النضير :

لما أصيب المشركون في بدر ، بلغ ذلك كعب بن الأشرف (من زعامات بني النضير) ، وكبر عليه قتل من قتل في بدر، فبكاهم وهجا النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه ، وسار إلى مكة وحرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على حرب رسول الله ، فلما عاد إلى المدينة بدأ بتدبير مكيدة يقتل بها النبي(صلى الله عليه وآله) ، وقد ظهرت تلك المكيدة عندما قدم النبي (صلى الله عليه وآله) قاصداً كعب بن الأشرف ، فلما دخل عليه ومعه جمع من أصحابه ، قال له كعب : « مرحبا يا أبا القاسم وأهلًا » ، وقام كأنه أن يصنع لهم الطعام ، ثم خلا بعض اليهود إلى بعض ، فتناجوا في ما بينهم ، واتفقوا على قتل النبي (صلى الله عليه وآله) بطرح حجارة عليه من فوق البيت الذي هو تحته ، فإنه إن قتل تفرق أصحابه ، فقال عمرو بن جحاش : « أنا أظهر على البيت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأطرح عليه صخرة » ، وقد رفض بعض اليهود ذلك ؛ لعلمهم بصدق نبوة رسول الله قال سلام بن مشكم : « يا قوم ، أطيعوني هذه المرة ، وخالفوني الدهر ، والله ، إن فعلتم ليخبرن بأنا قد غدرنا به ، وإن هذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه ، فلا تفعلوا ، ألا فوالله لو فعلتم الذي تريدون ؛ ليقومن بهذا الدين منهم قائم إلى يوم القيامة يستأصل اليهود ويظهر دينه ! » ، وغلب على أمر اليهود اتجاه الغدر والتآمر ، فجاء رسول الله الخبر من السماء بما هموا به ، فنهض سريعاً ، وانصرف راجعاً عنهم دون أن يشعرهم بشيء .

حصار بني النضير :

أمر النبي (صلى الله عليه وآله) في تلك الليلة بقتل كعب بن الأشرف ، قبل أن يقوم ضدهم بأي إجراء ، وانتدب لذلك أبا نائلة ، فقُتل في صبيحة تلك الليلة ، ثم أرسل محمد بن مسلمة الأنصاري إلى يهود بني النضير ، ليقول : « إن رسول الله أرسلني إليكم : أن اخرجوا من بلده ، وإما أن تأذنوا بحرب » ، فوافقوا على ذلك ، ومكثوا أياما يتجهزون ، فبينما هم على ذلك إذ جاءهم رسول عبد الله بن أبي بن أبي سلول ، ورفض الخروج ، فانقلبت الأمور ، فأبى حيي بن أخطب إلا محاربة رسول الله ، وأرسل أخاه جدي ابن اخطب ، يقول لرسول الله : « إنا لا نبرح من دارنا وأموالنا ؛ فاصنع ما أنت صانع » وأرسله أيضاً إلى ابن أُبي بتعجيل ما وعد من النصر ، فلما وصل جدي إلى رسول الله وأخبره قرارهم ، أظهر رسول الله التكبير ، وقال : « الله أكبر » ، وكبر المسلمون بتكبيره ، وهكذا ، بدلاً من الخوف والارتباك في الموقف ، والذي كان ينتظره اليهود من المسلمين ، كان التكبير إعلاناً حماسياً لموقف شديد من اليهود ، وبسرعة غير متوقعة ، مما أربكهم وأوقعهم في الحيرة ، وزعزع ثباتهم .

ونادى منادي رسول الله يأمر أصحابه بالمسير إلى بني النضير ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة النبوية ، قبل أحد ، صبيحة قتل كعب بن الأشرف ، وأصبح رسول الله غادياً عليهم بالكتائب ، وكانوا في قرية يقال لها « زهرة » ، فوجدهم ينوحون على كعب ، فقالوا : «يا محمد ، واعية إثر واعية ؟! » ، ثم حشدوا للحرب ، وهكذا ، أصبح بنو النضير وحدهم بعد أن اختار يهود بني قريظة المحافظة على عهدهم مع النبي (صلى الله عليه وآله) ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد اختار أن يعامل بني النضير كما عامل بني قينقاع ، أي إخراجهم من المدينة ، وقد سلك بذلك طريقاً وسطا ، ولم يكن حاداً في موقفه منهم ، ولكن عندما رفضوا الخروج سلماً اضطر إلى الضغط عليهم عسكرياً من أجل تنفيذ ذلك ، وقد سار إليهم بعد العصر ، وكانت الراية بيد الامام علي (عليه السلام) ، مما زاد في رعب اليهود وزرع الخوف في نفوسهم ، واستمر حصار بني النضير واحداً وعشرين يوماً ، وقرر رسول الله ، بعد أن أبوا النزول على شروطه ، تشديد الحصار عليهم ، وحاصرهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خمسة عشر يوماً ، ومرة أخرى انتصرت إرادة خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) ، وفشل اليهود ، فاقترحوا على خاتم النبيين الحل الذي كان هو قد طرحه عليهم أولاً ورفضوه ، وقالوا : « كما كنت تريد ، نخرج ولنا ما حملت الإبل » ، وهنا ، رفض رسول الله القبول بما كان هو قد طرحه أولاً ، لأن الموازين قد تغيرت ، فهم خسروا جولة جديدة ، وعليهم أن يتنازلوا بما يساوي هذه الخسارة الجديدة ، فكان الاقتراح بأن يحملوا النساء والصبيان فقط ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وغير ذلك .

النتائج :

خرج بنو النضير من المدينة المنورة ، من دون قتال ، فإن أرض بني النضير لم تفتح عنوةً بالعمل الحربي المعروف ، فأفاء الله أراضيهم على رسوله ، وسوغه أموالهم ، فأصبحت خاصة برسول الله يضعها كيف يشاء كما أراد الله تعالى ، فجمع رسول الله الأنصار ، واقترح عليهم أن يعطي المهاجرين ما غنمه من بني النضير ، فيخرج المهاجرون من مساكنهم وأموالهم ، فقبل الأنصار بذلك ، وقسم تلك الغنائم بين المهاجرين ، وأعطى ثلاثة من الأنصار فقط لفقرهم .

****

غزوة ذات الرقاع :

هي غزوة قام بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة الرابعة للهجرة ضد بني ثعلبة وبني محارب من غطفان في نجد بعد أن بلغه انهم يعدون العدة لغزو المدينة فخرج إليهم في أربعمائة من المسلمين، وقيل في سبعمائة ، واستخلف على المدينة أبو ذر الغفاري ، وعامة أهل المغازي يذكرون هذه الغزوة في السنة الرابعة .

دخل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بجيشه من المدينة ، واتضحت منذ البداية الصعوبات التي تنتظرهم ، فهناك نقصٌ شديد في عدد الرواحل ، حتى إن الستّة والسبعة من الرجال كانوا يتوالون على ركوب البعير.

ومما زاد الأمر سوءاً وعورة الأرض وكثرة أحجارها الحادّة، التي أثّرت على أقدامهم حتى تمزّقت خفافهم ، وسقطت أظفارهم، فقاموا بلفّ الخِرَق والجلود على الأرجل ؛ ومن هنا جاءت تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم، وقيل ايضاً سُميت غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ويقال ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع يقال لها : ذات الرقاع " .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner